

الجريد : قسطنطينية وغيرها . ويسمون الكنائس حنهم المزمين ، والبتاؤون
عندهم يهود لا يتجاوزون بهم هذه الصناعة ، وكذلك كانوا يلبدون الناصر .

قال الشافعي كان هذا في زمان المتقدم ، وأما الآن فهم يمار أهل هذه البلاد
كلها وأغنياءها وخاصة مدينة فاس على عايت منهم من يقال إن عنده المال
المدود رجلا كثيرين . وقد كان تلبه لم الأمر العالي أيد الله دولته
سنة ٨٢٧ [٥ = ١١٨٦] قبس (١) المرتشون وشوش المشوشون وعرف
المفتشون ، فأرجأ القدر السابق هذا إلى نهاية أمد عزهم وابتداء نكسهم
إن شاء الله وخرهم وهي سنة ٨٧١ من (ب) الهجرة . والسبب في تسخير أهل
مملكة اليهود في هاتين المرحلتين الرقيتين كونهم عبيد في سكنى يخدمهم
للاكتساب لما علموا أن التبر بها يمكن منه غيرها من بلاد المغرب ليكونوا
بها معدنه ، فهم يمارسون التجاربه ليخدمونهم بالسرقة وأنواع الخداع . ولما علم
منهم أبو عبد الله الناصي ما هم عليه من ذلك عند استخراجه عبيد الله من سجن
النجس بن مذكروها ، وكان الذي نص عليه وتم به فليس يهودى وحكى عبيد الله
لأبي عبد الله ما جرى له معه ، قتل منهم الأضياء وأخذ أموالهم بالمداب ، وأمر
من شاء أن يقيم منهم بالبلد أن يتصرف في هاتين الخطين ، فن دخل في الكتاتين
من أصناف الناس سموهم المزمين لأجرامهم على خرقه موقوفة على اليهود .
وقصروا البناء عليهم خاصة لأجهم خالفون أبدا من أن يحون أسدعهم المسلم
فيلبسك ، فهم ينصحونهم في البناء ولازمون الخدمة دون خروج لمرافق
الصلوات ولا لغير ذلك من ملازم العبادات ، فكانت خدمتهم موقوفة سرمة .
وهم الآن قد ما رجوا المسلمين وداخلهم وهو الفز الذي كانوا يرتقبونه في سالف
الأزمان ، وبعده المرة الثانية لم القاصصة إن شاء الله لظهورهم ، للسلسلة
لشأنهم عما قريب كما قلنا .

ذكر السبب في ثورة الناصي ودخوله مملكة (١) : كان الناصي حقا
لوجود الإمام المهدي ، جاعلا لزمته طامعا أن يصادفه شبة المرة في نفسه .

(١) ب : قلت . (ب) ج : من إحدى نسبي .

(١) لا يعرف الناصر الذي نقل عنه المؤلف الفصل الخامس بالفاطمين . قرأ ابن الأثير
ج ٨ ص ١٧ ، ج ٩ ص ٢٣ ، ج ٩ ص ٢٩ ، ج ١٠ ص ١٤١ ، ابن خلدون ج ١ ص ١٥٠ ، وتاج
ابن خلدون ، الجزء ٤ ج ٣٩ ، وتاج وملحق الترجمة (Barth) ج ٢ ص ٥٠٦ ، وتاج .

قال الناصي خرجت يوما إلى طاسق دجلة لأفكرج ، فجلست على ضفة النهر
أقرأ سورة الكهف فإذا بشيخ حسن اللبس والمركب معه غلام قرش له على
خفة النهر ، فجلس وأنا أقرأ حتى انتهيت إلى قوله تعالى : « حتى إذا لقيا غلاما
فقتله » إلى قوله : « فخشينا أن يرحمهما فغناهما وكفرا » إلى آخر الآية . فقال لي
الشيخ : أنت تزعم عن يقول بالعدل والوحيد ؟ قلت له نعم . قال فكيف تقتل
نفسا حتى أن يكون وأن لا يكون ؟ فقلت له إنى أعلم هذا للنبي ، فقال لي
سأعلمك إذا التقينا إن شاء الله . ثم ركب دابته وانصرف ، فسألت غلامه
من هو فقال لي : هو محمد بن اسماعيل بن الحسن بن علي بن جعفر بن علي
ابن موسى بن جعفر بن علي الصادق بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب رضي عن جميعهم . قال الناصي فعند ما سمعت ذلك لم أتمكن
أن قبلت رأس الغلام وتعلقت بركاب الشيخ ، وضربت إليه أن يسلني السيل
إلى معرفة الإمام ، فأشار إلى في الوصول إلى منزله ، فسيرت معه فأدعني ووجدت
ولده عبيد الله معه أحد عشر رجلا ، فقال لم هذا ثلثي عشر نكم . فأراني أربع
منزلة قلما استقرى المجلس قال لي : قد حان وقت ظهور الإمام وهذه الدعاة
خارجة إلى الأفكار ، وأنا أريد توجيهها إلى المغرب لأن جعفر بن محمد الصادق
ذرع بالمغرب بلرا فالتت تصعد إن شاء الله ، إذعوب إلى مكة فالتت مستجد بها
قوما من كتامة قاعرض نفسك لم في تعلم أبايهم ، فإذا وصلت معهم إلى بلادهم
فأعلمهم بظهور الإمام وأن زمانه قد حان وخاطبنا . فإذا استوثق الأمر
نهضنا إن شاء الله ، ودفع إلى مالا وشيئا فأصرقت وأنا متعجب من دعواه ،
ومرتاب في أمره . فلما عاينت خروج الدعاة وخدمهم احتشبت نفسي من جلهم ،
فسرت إلى مكة . كرمها الله . فألبيت كتامة ، فمرغت نفسي عليهم ، فتلقتني
بالقبول ، وسرت معهم إلى بلادهم فزلت في بحاية بالجل المعروف ببنى
كؤلدوى . وجعلت أعلم أبنائهم ، فقالوا نحن أخرج إلى التعلم منك من أبنائنا
فجعل يقول لم : هذا زمان الإمام المهدي الفاطمي قد حذر . وذلك في خلافة
عبد الله سنة ٢٨٠ [٨٩٣] . وكان الناصي يأخذ صدقاتهم ، وعشوراتهم
وأمرهم بالدعوة إلى ما دأبهم إليه ، وقتل من مخالفيه إلى أن مات الشيخ . وقد
عبد الله ، وهرب الولد فلرا إلى مصر ، فلم يعلم بدخوله لها . وقد كانت

مخاطبات المتخذة قلت إلى ابن طولون (١) مصر وإلى الشيخ بن مندرار وإلى جيلامة في طلبه . فلما خرج عبيد الله من مصر تبه له فطلب فوجد واجعا قد طلب كثيرا كان حرب ثم ، فحمل إلى الوالي فذكر أنه صائد قد حرب (ب) له كلبه فطلبه ، وشهدت له البيت بذلك وقيل أعطى قولا ما كان معه من المال (٢) فأما فقه . ووصل لجيلامة قصص عليه اليهودي كما قلنا ، وصحبه الشيخ بن مندرار في منزل أخته في غرفة وكبد ، وتبعه ولده القادم فحبسه في قرية بالقرب من جيلامة ، فمخاطب أبا عبد الله الداعي وأعلمه بحاله من الأسر والخوف ورجع إليه في استنفاذه ، فاستنصر الداعي قبائل كتامة ومن استجاب لدعوته ، وقصد لجيلامة فدخلها فحبسه وفر الشيخ فقتله طائفة من رعيته لحد كاتوا بجلوته له . ووصل الداعي من غوره فدار بعت مندرار واستخرج عبيد الله من سجنه وكسر كبله بيده وأركبه بقة وكساه برنسه وقال لم : هذا مولاي الإمام فهو مولاكم . فقال له عبيد الله : قل لم هو المهدى بن المهدي سلالة المداية ، وسر من فورده واستخرج مولاك أبا القاسم من بين علو الله وعدو أوليائه . فنهض الداعي وانحلا واستخرج أبا القاسم ابن عبيد الله وأركبه بقة وأخيه أبي العباس ، واستخرج أهل جيلامة من مواطنهم وقال لم : لا يحل لكم أن تستوطنوا بلدا امتحن فيه الإمام ، ففر عوام من سطوته لا عابثا منه ما صنع باليهود كما قلنا . فلما خرجوا معه أمر بسلبهم ، فقتلوا كلهم رجلا ونسلا وأخذ أموالهم وصرفهم . وقيل إنه تحصل له من التبر ومن الحل وفر ١٢٠ رجلا أدخلها رقادة وبيع بها لعبيد الله وأقامه وأدخله القبروان وبني المهدي . فكان عبيد الله يسلكر ويقتل جواربه ويرى من خارج القصر . وأظهر مذهب الذي زعم الشيعة أنه مذهب أهل البيت ، فأنكر كتامة ذلك واجتمعوا مع الداعي وأخيه أبي العباس وكان مصمما فقال لم الداعي إن الدعاء لأهل بيت رسول الله صلعم واجب ، وإن الإمام المهدى حق وإن الزعم بمجهول عندي ، وكنت أوتيت في والد عبيد الله فكيف لا يرتاب

(١) القس ، ابن طليح ، أنظر Pageau ، حاشي ٢٠١ ص ١٦٩
(ب) ب : حرب . (م) من اللذة للصلة ب

(١) يلاحظ أن المكتف كان في خلا فترت خليفة والي مصر كان يدعي عيسى التوكراني . أنظر Pageau ، حاشي ١ ص ١٦٩

فيه ، سبروا إليه وغرولوا له : إن أبا عبد الله وأبا العباس قد شكوا في الخلفاء الذي ذكرت أنه بن كليلك غره لنا ، فإن لم يعانوه فشانكم به . قال فتد ما وصلوا إليه ، وغرولوا له تلك المقالة ، قال لم ثم بعلمنا كما قيل إنهما أيقنا به ؟ قالوا نعم فقال لم : الشك لا يزال اليقين . وانضت إلى صاحب شرملة فقال له : يا عروبة أتني برأسبها ، فني الحسين نهض عروبة إليهما متكررا فقال له أبو عبد الله وكان له عليه حق مرتبة : ما الذي أتى بك يا عروبة ؟ فقال الذي أمرني بطاعته أمرني بقتلك . فقتلهما وأتى برأسبها بحضرة أشياخ كتامة ، وأمر بالكتب إلى الأمصار أن أبا عبد الله أحدث حدثا فظهرناه بالسيف ، ولم تكن تستمر رعاية الحق له من إقامة الحد عليه . وتهدد أمر عبيد الله . وهو الحقيقة كما ذكر أبو بكر محمد بن الطيب في كتابه في وصف القرامطة : أنه عبيد الله والده عبيد الله بن سالم بن جبدان الباهلي ، وأن جده سالم صلبه المهدي العباسي على الزندقة على ما قاله الذين فحصوا عن أمره . ومات عبيد الله بالمهدي سنة ٣٢٢ [١٩٣] وولي ولده أبو القاسم فأظهر مذهبهم وصحاه مذهب أهل البيت نسبة إلى جعفر ابن محمد الصادق وإلى علي بن أبي طالب رضيهما - وحاشاهما - والعباد بالله من هذا المعتقد . فنه توريث البيت إذا انقرضت بجميع المال كله ، والله تعالى يقول : «وإن كانت واحدة فهاها نصف» . وأسقط الرجوع عن المصنفين في الزنا ، وأسقط المسح على الخفين ، وأسقط من الأذان «الصلاة خير من النوم» وفادى في الصبح «سعي على خير العمل وعلى خير البشر» ، والقصوم بالعلامة والقطر بها لا بالروية فأتى قبل صوم المسلمين يوم وقيل فطهرهم يوم في أكثر الأعوام . وأصل المظلة ثلاثة ، وأسقط أيمان الحرج . ولولا خروجنا عما قصد إليه الواضع (١) لشرحتا دعاتهم وبيننا كفرهم . وصحاهم الأخوة والمؤمنين وأمر ألا يقم الحد أحد إلا أبوه أو أبوه أو أخوه أو قريبه . ثم أمرهم بالجلد لمن خالف مذهبهم . فقام عليه أبو زيد تحمله بن كيشاد بن سعد الله بن مغيث بن كرمات بن محمد بن عيان بن رويب بن سبروان بن يفرح بن صره بن يورسيف بن جتا (ب) بن يحيى بن ضريس بن جالوت . وكان على مذهب الصفرية التكاو وقر على عمار الأحمي في المشرق ، وكان قيامه في أول سنة ٣٣٢ [١٩٤] .

(١) البشارة الأخيرة للصلة في ب . (ب) ب : جلنا .

ذكر المؤرخون أنه كان يعمل أسواقاً (١) من رؤوس المسلمين ورجية القنصية وأمر المؤذن (بالأذان) عليها . وأخذ الشيخ من المسببة ٥٠ ألف مقال وأبلى نكاحاً فاشل الشيخ ثم بنى عن ماله ، فبعل يطلبها في العلة حتى وجدها عند باب غياه الشيخ الملعون . وكان يركب الحمير وتسمى بشيخ المؤمنين - فأنكب على بنائه وسألها فقال له يا أيتها إن الملعون انتفضا في فراش واحد ، فشى الرجل إليه وقال له : تسمى بشيخ المؤمنين وأخذت مالى وانتفضت بلى ، أنتين شقيقتين على فراشك دون استحياء من الله تعالى ؟ فقال له : ذلك حلال لنا عند ابن آدم وأمر بالرجل فضربت عنقه رجلة الله عليه . وقد كان حزم أباً القاسم الشيعي وهرب أمامه للمهدية فوصل أبو زيد في أتباعه حتى ذكر (ب) رغبة في الباب ، فأعلم أبو القاسم فقال له : والله لا عاد إلياً أبداً وهو حظه هكذا في كتيبة . وأمر بالركوب والحروج إليه وأعطى الجند الصطاء الجزيل ، فلما خرجوا أراد أبو زيد أن يقتل من كان معه من حشد الرعية لينفرغ لإشياء كثيرة ، فقال : لأصديه انكشفوا عنهم فقتلوا عن آخرهم . وألغى أبو زيد بالجراح وغضب عليه حياً فأدخله المهدية في قفص حديد وصلبه على الباب الذي طعن فيه برمح ، ودانت لأبي القاسم الشيعي بلاد الغرب كلها من إفريقية إلى دُرَّة .

مدينة دُرَّة (١) : وإنما تعرف دُرَّة بواديا فلأنه أكبر بحرى من المشرق إلى الغرب ومنبعه من جبل دُرَّان ، وعليه عمارة متصلة نحو ٧ أيام وفيها أسواق حافلة كثيرة . فيها يوم الجمعة أسواق (٢) في مواضع كثيرة متقاربة وربما كان سوقان في يوم واحد في المواضع النائية وكذلك في سائر البلاد ، وعليه الجناح الكبيرة فيها جمع القواكه من النخل والزيتون وغيرها . والحذاء بدرعة كثيرة ومنها تجلب إلى جميع البلاد لطيبها ، وله مزينة في البيع على سواها . وشجر الحناء

(١) النص : أكراما . (ب) ب : دكن .

(٢) وأسواقه تسمى في ب .

(١١) البكري ص ١٥٥ (يقول إن الكنية مازالت تسمى ليونتين) . قرن الإدريسي ١ ص ١٦٦ ياقوت ، معجم البلدان (درة) ج ١ ص ٢٦٧ ، (مجلسية) - تيرمين قطع على ٤ فرائض من مجلسية ج ٢ ص ١٥٠ التمسق (ليونتين) ص ٢٢٦ أبو القاسم ، الترجمة ج ٢ ص ١٨٧

أما في نسخة الدكتور فاضل البكري ص ١٥٢ ومن الخبر المعروف باسم التامصيت للنسب الصفح ص ١٢٩

بها شجر كبير يحتمل أن رقى فيها الرق ، وبوادي درعة شجر التامصيت وهو شجر يشبه الطراف وبه يدع الجند الغداسي . وتوجد بوادي درعة حجارة تسمى تامصيت (١) تحك باليد فتبين إلى أن تأتي في غوام الكنان فيصنع منها القيود للثواب والأمره ، وتفرز ويلسج منها متايل لا تؤثر فيها النار مثل الصندل ، وقد صنع منها بعض ملوك زلانه كساء عنده من أعظم اللخام . ذكر البكري أنه أخبره ثقة إنه رأى تاجراً قد جلب منه متديلاً لبعض ملوك الروم ، وأخبره أنه متديلاً كان لبعض الحواريين وجعله في النار أمام الملك فلم تؤثر فيه شيئاً ، فوصله ذلك الملك عليه بصلة كان فيها غناء إلى آخر الزمان . ويقال إن ذلك الملك بعث إلى ملك الروم الأعظم وأخبره بخبره ، ووضعوه في الكنيسة العظمى ، وبعث إليه بصلة سنية وأمره أن يترج بتاج بعث إليه ورفعه على من سواه (٢) .

مدينة أحمات (٣) : وأحمات هما مدينتان إحداهما تسمى أحمات وريكة والأخرى أحمات هيكلة : وبينهما نحو ٨ أميال . وبأحمات وريكة يسكن الأكران وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهيز للصحراء ، وبها نهر جريه من القبلية إلى الجوف ، يشق المدينة بفضه وعليه أرحاء وحوله بساتين كبيرة . وهو بلد متسع كثير الرعاء والمخصب إلا أنه وقيم الهواء ، ألوان أهله مصفرة والمخاروب الثلاثة به كثيرة ، وبينه وبين البحر مسيرة ٤ أيام . وأقرب المراسى إليه مرمى جوز هرثانة (٤) من بلد زجر كجة ، وهو من آخر مرمى سواحل الغرب مما يقرب من البحر المحيط ، تنزل به السفن ولا يخرج منه إلا برياح عاصفة في زمن الشتاء عند تكدر الهواء وغبار الجبل ، فحينئذ تصدق هناك الرياح فإن أصلحهم (ب) الریح سلموا وإلا قتلهم البحر . وبين أحمات ومدينة تنفيس مرحلة .

(١) م : تامصيت . (ب) م : اصصت م

(١١) البكري ص ١٨٠

(١٢) قرن البكري ص ١٥٢ الإدريسي ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٠ مرادها الإدريسي ج ١ ص ١٧٨ التمسق ص ٢٢٦ ابن حوقل ص ٦٥ أبو القاسم ، الترجمة ج ٢ ص ١٨٨

(١٣) البكري (يتكلم عن ريدان دار) ص ١٥٢

مدينة تقيس (١٢) : مدينة قديمة أزيلت غزاها عقبه بن تلحج رحمه الله ، وحاصرها وقبها الروم والتصارى البربر فالتفتها وأصاب المسلمون فيها أموالا كثيرة ومغانم واسعة ، وبني فيها عتبة مسجدا وهو معروف بها اليوم . وكان دخول عتبة مدينة نفيس سنة ٦٢٢ [٦٨٢] من الهجرة ، ويعرف بالبلد النفيس وليس في جميع البلاد أطيب هواء منها ولا أهل منظر ولا أكثر أنهار وأشجارا ونخارا . ويشق بلد نفيس نهر منيع من جبل دَرَن حيث الروضة المقدسة المكرمة للعقبة ، جدت الإمام المهدي وصاحبه وحواريه الخليفة الإمام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي رضيهما ، وهو في مدينة البيضاء المعروفة بتمشك (١٣) كرمها الله . وكانت على القديم معمورة فذلها الإمام رحمه ، وبني فيها الخليفة جامع الإمام رضيهما (١٤) ، وعليها سور حصين وهي أمتع حصن أو قلعة في بلاد المغرب لوعودة الطريق من هذه البلاد لأن زيارة الأئمة الأطهار بها على طرق مرصوفة من الخشب متى احتيج إلى لُذاتها أزيلت فتملكت السبل وحرار الدليل ، فتعان مهوى بعيدا لا يترك له قعر . وهي في وسط القبايل الثروين بالثبابة والتجدة . وبين أمعات ونفيس الحضرة العلية مراكش - صانها الله تعالى دار إسلام .

مدينة مراكش - كلاًها الله (١٥)

هي اليوم حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها ، وهي مدينة عظيمة في بسطة من الأرض ، أسسها يوسف (ب) بن تاشفين سنة ٤٥٩ [١٠٦٧] ، وأول ما بني فيها

(١) البصلة الأخيرة لقصة في ب . (ب) ب : يوسف بن علي بن تاشفين

(١٢) السكري ، ص ١٦٠ . وقارن الإدريسي ، ص ٦٢ ، المسلك ، ص ٢٢٦

(١٣) قارن الإدريسي ، ص ٦٢ ، مرآة الأنوار ، ج ١ ، ص ٢٢٣ . عن زيارة حلفاء الجرحان لغير ابن نورث ببنال أنظر عد فرائد المراكش ، المسبب ، ص ٢١١

(١٤) عمدة القوافل مثا بطونيات هبة بن مراكش على عهد خلفاء الموحدين الأوائل . قارن الإدريسي ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، عده فرائد المراكش ، المسبب ، ص ٢٢٢ ، روض القرطاس ، ص ٨٩ ، ابن حنبل ، القبر (قبره Berbe) ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، الخلفاء الموحدين (مراكش) على عهد المرابطين ، ص ٥ ، ربيع (مراكش عهد الموحدين) ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، مسالك الأندلس (الجزء) ، ص ١٦٨ ، ربيع ، بقاوت ، معص لقلان ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، المسلك ، ص ٢٢٦ ، أمير القضاة (قزجة) ، ج ٢ ، ص ١٨٧

دار الأمة وهي الآن مطبوعة بها ، ثم اختط سورها ولده سنة ١١٢٠ [١١٢٠] ، وفتحها الخليفة أمير المؤمنين رحمه يوم السبت بعد صلاة الظهر ١٨ من شوال سنة ٥١١ [= ٢١ مارس ١١٤٧] . وعلى ٣ أميال منها وادي تنسيفت ، منيع من بلد دشانت (١) ، يصب فيه وادي وزيكة ووادي نفيس وأودية كثيرة ، ومصبه في ساحل رباط جوز (ب) ويدخله الشايل الكثير الطيب . وهي مدينة طيبة التربة كأنها غطاء من حجر على حجر ، حذب مألها قريب من قلعة أو قناتين ، وبساتينها تسقى من كبار متنفذ بعضها بعض حتى تخرج على وجه الأرض ، وبينها وبين دَرَن نحو ٢٠ ميلا ، وهي كثيرة القروع والقرع محورها دسكالة وجنبا نفيس ، وحولها من البساتين والجلبات التي يسوقها البحار لعظمها ما لا يحصى كثرة ، وإغا بناتها وأرضها ليعلم منها جبل دون لكثرة من يسموه ، وكان خروج هذه الشرذنة المسمومة لقتال برافخاولة الكفار المرتدين عن ديانة الإسلام .

وكان إسلام قبائل الصحراء سنة ٤٣٥ [١٠٤٣] ، وخرجهم سنة ٤٥٠ [١٠٥٨] أو نحوها فقتل زعيمهم الذي أنجزهم بذلك برافخاولة بموضع يسمى ليملت ، وبني على قبره مسجد وبنى بعده أبو بكر بن عمر التلموني المصدي وعلى إلى سنة ٤٥٧ [١٠٦٥] قبل أن ينخلع ويولي يوسف بن تاشفين ، ويطلق زوجته زينب بنت إبراهيم الفزاري (١٦) . ولم يكن في زمانها أهل منها ولا أعقل ولا أنظر ، فزوجها بعده يوسف وبني لما مراكش ، وسار أبو بكر بن عمر إلى الصحراء فقاتل السودان فرشقه سهم فأت . ومدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا هجة وحالا عما زاد فيها الخليفة الإمام وخليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف ورضيهم ، فإن الخليفة الإمام بنى فيها جامعاً عظيماً (١٧) ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبله ، وكان قصراً ، ورفع بينهما أنوار العظم الذي لم يشهد في الإسلام مثله ، وأكله ابنه وخليفته أبو يعقوب ورضه . وجلب الخليفة الإمام اللها من أودية دون وخرس بحيرة عظيمة بغربي المدينة قبل نفيس دورها ٦ أميال ، وبني فيها

(١) ب : بيلانت ، م : بيلانة ، أنظر Pagan ، ص ١٨٠ ، قناتل ١ (ب) السكري (ص ١٥٢) ، رباط لوز .

(١٢) حسب ابن حنبلون (القبر ، الجزء) ، ج ١ ، ص ٧١ ، وصاحب روض القرطاس (ص ٨٢) كسرى زينب بنت أسحق الفزاري .

(١٣) هراجك لكتبة مراكش . (أنظر H. Terrasse, Sanctuaires et fortifications almoravides, p. 1684)

وخارجها صبر يحسن عظيمين كما في تلك المدة نعيم فيها فلا يكد القوي منا
يقطع الصبر إلى آخر مشقة ، وكما نفاخر بذلك . وأحدث الخليفة بعده ابنه
أبو يعقوب رضى بحار مثلها في الترمس بل أجل ، وجلب لها المياه وأخذها
في صبايح أعظم من المقدمة ، وزاد في قبلة المدينة حصنا أفضله الآن ابنه الإمام
الخليفة أبو يوسف رضى ، وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى في دورها ،
وكانت بحار عظيمة فيها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق ، وجلب التحار
إلى قيسارية عظيمة لم يبق في مدن الأرض أعظم منها ، وأمر بعمارها أول
سنة ٥٨٥هـ [١١٨٩] . ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنتا وبساتين وأصايب
وفواكه وجميع الثمرات ، وكانت قبل ذلك بطن الطائر حولا فيسقط من العيش
والريضاء ، وأكثر شجرها الزيتون في مراكش اليوم من الزيتون والزيث
ما تستغنى به عن غيرها من البلاد وتحير ببلاد كثيرة ، وكان زينبا قبل اليوم
دعن الفرجان (١) لأنه ينك البلاد كثير جدا . وزيتون مراكش أكثر
من زيتون مكناسة وزينبا لرخص وزينبا أطيب .

ومما شرف به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبو يوسف حضرته المكرمة
رضه أن أرسل في وسط المدينة ساقية ظاهرة مأزها ماء قصره المكرم ، نشق
المدينة من القبلة إلى الخرج ، وعليها السقايات لسق الخليل والدواب واستفاد
الناس ، فهي اليوم أشرف مدن الدنيا وأعتلى هواه . ومن بركاته (ب) وضع
دار الخرج في شرق الجامع المكرم ، وهو مارستان المرضى ، يشغله العليل فيدأين
ما أعد فيه من المناداة واللياء والرياحين والأطعمة الشبية والأشربة المنوعة (ج)
ويستعملها ويسقيها فتنه من حيث بقدره الله تعالى . وكان في سنة ٥٨٥هـ
[١١٨٩] قد استمدى العلماء ورواة الحديث وأمر بتأسيس حديث النبي صلى

مدينة قروجة (د) : يسمونها قروجي ، وبينها وبين مراكش مرحلة ،
وهي في بطنها كثيرة المياه والقواكه والخيرات . وبالقرب منها مدينة

(١) ب : الفرجان ، ألفر Fajran ، عاصم ١٨٥٢ ، (ب) ب : بركة .
(ج) ب : القروجة ، م : القروية . (د) م : القروية .

(١١) لا يتكلم الكتاب عن هذه البلاد ، ألفر Fajran ، عاصم ١٨٥٢

لأمروث (١١) بينها نهر مرحطين . وهي مدينة لطيفة طيبة الهواء ولها ، ومنها
يرقى إلى جبل دون (١٢) ، ويقال إنه أكبر جبال الدنيا وأنه يتصل بجبل المقطم
الذي ببلاد مصر ، وفيه قبائل كثيرة من المصامدة ، ويقال إنهم من العرب
قد دخلوا تلك البلاد وسكنوا تلك الشعب في الفتنة الواقعة عند هزيمة ميسرة
التي تسمى غزوة الأشراف (١٣) ، فكان البربر يطلبون العرب فتوغلوا
في تلك الجبال وتنازلوا قهرا أهلها على الحقيقة لأهم أحيوها . قال رسول الله
صلى : « من أحيأ أرضا ميتة فهي له ولعقبه » . وجبل كدوك أنصب البلاد
وأكثرها أنهارا وأشجارا وأعنابا ، وفيه أتم لا تحصى من المصامدة وأكثر
عيشهم إنما هو من العنب والزبيب والرب ، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة
برد الجبل ولذته ، وعقله بلاد الموس .

ذكر بلاد الموس الأقصى (١١)

وهي مدن كثيرة وبلاد واسعة يسبقها نهر عظيم يصب في البحر المحيط
يسمى وادي ماسة (١) وجريه من القبلة إلى البحر كجري نيل مصر ، وعليه القري
المتصلة والمائر الكثيرة والبساتين والجنات بأنواع القواكه والفاخر والأعناب
ولصعب السكر . ولم يتخذ الساكنون على هذا الوادي قط رعى فلا سفلوا
عن ذلك قالوا : كيف يتخذ هذا الله المبارك في إدارة الأرحاء ، وهم يطهرون
بها (ب) . وعلى هذا النهر قرية كبيرة جدا تعرف ببلروفاث (١٢) ، وهي أكثر

(١) البكري ١ ص ١٦١ ، الإبريس ١ ص ٧٤ (مست) . (ب) هذا ينسب
تربيع صفقات العطارط وبها كلال ، ٨٣ - ١٠ - ٨٢ - ب - ٨٢ - ١٠
٨٢ - ب .

(١١) تارن المصطفى ١ ص ٢٢٦

(١٢) ألفر لما سبق ، عاصم (أبو العلاء) ، الترجمة ١ ج ٢ ص ١٨٣ ، البكري ١
ص ٦٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ١ ج ٢ ص ٥٦٧ ، المصطفى ١ ص ٢٢٦ .

(١٣) حدثت هذه القصة بعد موت حيرة بن عاصم بن حيد ثقات وعاصم بن حبيب القري .
ألفر Fajran ١ ص ١٨٤ ، دغامي ٢

(١٤) البكري ١ ص ١٦١ - ١٦٢ ، الإبريس ١ ص ٦٩ ، دغامي ٢ ص ٢٢٦ ،
ابن حوقل ١ ص ٦٥ ، البكري ١ ص ٢٤٩ ، مراصة الإطلاح ١ ج ٢ ص ٦٨

(١٥) الإبريس ١ ص ٧٤

بلاد الله قصب سكر وفيها معاصر السكر كثيرة . وهذا البلد أحصى بلاد المغرب وأكثرها فواكه وخيرات ، ومنها تجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية وهو المشهور بالبلورزود^(١) المذكور في كتب الطب . وعلى مصب هذا الوادي في البحر رباط مقصود له موسم عظيم ويجتمع جليل وهو مأوى للصالحين . ومن وادي موسم إلى مدينة نول ٣ مراحل في عمارة متصلة يسكنها جزولة ولطة ، وهم أم كثيرة .

وقاعدة بلاد السوس مدينة آجيجي^(٢) وهي مدينة عظيمة كبيرة غداة أولية في سهل من الأرض على النهر الكبير المذكور ، وهي كثيرة البساتين والتمر وجميع الفواكه ، ربما يبع حل التمر بما دون كراه الدابة من الجنان إلى السوق ، وقصب السكر بها كثير وله بها معاصر كثيرة ، وأكثر شرب أهلها إمام هو ماء قصب السكر^(٣) ويعمل بها النحاس المسوك يتجهز به إلى بلاد السودان . ووصل عتقة بن نافع إلى هذه المدينة عند دخوله إلى بلاد المغرب ، واقتحمها فأخرج منها سبياً لم ير مثله حسناً ، كانت تباح الجارية الواحدة منهم (ب) بألف دينار وأكثر لحسنها وتعام عتقها . ويعمل بهذه المدينة زيت الهرجان (ج) وشجره يشبه الكثرى إلا أنه لا يعلو كمثل شجرة الكثرى ولا يفتح اليد ، وأغصانه نابتة من أصله لا ساق لشجرته ولها شوك وغرته تشبه الأجاس المعروف عندنا بالعنقر ، فيجمع ويترك حتى يذبل ثم يوضع في مقلاة فخار حل النار فيستخرج دهنه ، وطعمه يشبه طعم القمح المقلو ، وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلى ويدبر البول . وبالسوس عمل يلقون عمل جميع الأمصار ، يلقى البيهقيون على الكيل منه ١٥ كيلا من الماء ويحكذون يأتي نبيذاً ، وإن كان الماء أقل من ذلك بقي حلواً ولا ينحل إلا بالماء الشديد الحرارة ، ولونه أخضر في يكون الرمرد^(٤) .

هذا هو
البلد الذي
يكنى بالبلورزود
وهو المشهور
بالسكر

وبالمغرب من أجبل على نحو ٦ مراحل مدينة تاسدلت^(١) ، وهي مدينة كبيرة أسسها عبد الله (أ) بن إدريس العلوي وتوفي بإجيجي وبها قبره . وتاسدلت مدينة سهلية كثيرة العمارات حافلة الأسواق ، على نهر عتصره من جبل على نحو ١٠ أميال منها ، وما بينهما عمار وبساتين متصلة ، وهذا النهر هو نهر درعة ، وهذه المدينة تاملت على رأس النهر ، وبينها وبين مدينة درعة مسيرة ٦ أيام في عمارة متصلة . ومن بلاد السوس مدينة نول لطة (ب)^(٢) ، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط ، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ٣ مراحل . وإفاحا سميت نول لطة لأن قبيلة لطة (ج) يسكنونها وما وراءها وهي آخر بلاد السوس ، ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان ، غانة وغيرها ، فليمشي من وادي درعة نحو ٥ مراحل إلى وادي ترجاد (د) وهو في أول الصحراء ، ثم يسير في جبال وعرية في طريق قد فتحت في حجر صلد بالبحر وأدخل من عمل الأول . وبزعم قوم أن ملوك بني أمية فتحوها ، وهذه الطريق من أحد أعاجيب العالم^(٣) . ومنها إلى جبل يسمى بالبرية جبل الحديد ، ومن هذا الجبل يدخل إلى بلاد كتونة وهم من صنهاجة ، وأكثر كتونة إمام رحالة لا يستقر بهم موضع ولا يعرفون الحرث ولا الزرع ولا الخبز ، وإنما لهم الأغنام الكثيرة فيعيشون من لبنها ولحونها ، فهم يطفون اللحم ويلطحنونه ويصيون عليه الشحم اللذاب والسنن ويأكلونه ويشربون عليه اللبن قد غلوا به عن الماء ، فيبقى الرجل منهم الشير لا يشرب ولا يأكل خبزاً ولا يعرفونه وصنهم من ذلك متمكنة^(٤) ، ربما مرت بهم القوافل فيتحقون ملوكهم

(١) ب : عداة .

(ب) تاسدلت تاسدلت ب . (ج) الكس ، تركا ولكننا أطلقا بمراد البكري

(س) ١١٧٢ : ألفر Eusebius ، ص ١٨٨ ، وحاشي ٢

(١) البكري ، ص ١٦٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨١٢ ، مراد الاطلاح ، ج ١ ، ص ١٦٥ ، السائق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٢) البكري ، ص ١٦١ ، الإدريسي ، ص ٦٠ ، مراد الاطلاح ، ج ٢ ، ص ٢٢٩

السائق ، ص ٢٢٨

(٣) قارن البكري ، ص ١٦٢

(٤) البكري ، ص ١٧٠

(١) ب : إمام هو من قصب السكر . (ب) ب : الحاربية ميا .

(ج) ب : الرهانة .

(١) الإدريسي ، ص ٦٢

(٢) البكري ، ص ١٦١ ، ياقوت ، معجم البلدان (أجبل) ، ج ١ ، ص ١١٥

السائق (أجبل) ، ص ٢٢٦ ، مراد الاطلاح (أجبل) ، ج ١ ، ص ١١٦

(٣) البكري ، ص ١٦٢ ، الإدريسي (ص ١٦٢-١٦٣) يقول إن هذا القرب يسمى الرور .

ورؤسهم بالخيز والدقيق . ويبلادهم يكون النمط ^(١١) الذي يحمل من جلوده
الذوق ، وهذا الخيوان المسمى بالنمط دابة دون البقرها قرون ^(١٢) رفاق حادة
تكون للذكرانها وإناثها ، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد
من ٤ أشبار ، وأجود الذوق وأغلاها ثمتا ما عمل من جلود الإناث المستات
التي قد طالت قرونها لكبر سنها حتى تمت الفحل أن يملوها . ويبلادهم أيضا
الغنم الكثير ، ومن عندهم يحمل جلودها إلى جميع البلاد ، وعندهم الكباش الدمانية
وهي حل غلظتها أيضا إلا أنها أعظم وشعرها أكثر المنزلا صوف عليها ، وهي أحسن
الغنم خلقا والأوثان . والريحان في بلاد الصحراء وفي بلاد السوس عزيز لأن
بلادهم لا تنبت ، وهو عندهم من أغيب الطيب .

ومن عجائب هذه الصحراء أن بها معدن الملح ^(١٣) تحفر عنه الأرض
كما تحفر عن سائر المعادن ، ويوجد هذا الملح تحت قامتين أو دونهما من وجه
الأرض فيقطع كما تقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن لانتقاله ، وعليه حصن
مبنى بالحجارة التي تخرج من المعدن ، وجميع ما فيه من بيوت وغرف ويسكن
إنما هو مبنى بحجارة الملح . وبهذا الملح يتجهز إلى بلاد السودان ، غلاته وفقرها ،
وله غلة عظيمة ، ويؤخذ معدن الملح الماء العذب الطيب ، أصبرقى بذلك من عابته .
ومعدن الملح أيضا في بلاد جدالة بموضع يسمى ولييل ^(١٤) على شاطئ
البحر المحيط ، ومن هناك تمسك الرقاق إلى ما جاوز تلك الجهة . وبقرق ولييل
في البحر جزيرة تسمى أويونا ^(١٥) ، وهي عند المد لا يوصل إليها إلا بالمرأب

(١) فاروقا نالقة في ب .

(ب) البكري ، ص ١٧٠ ، الإدرسي ، ص ٢٢ (أوليل) .

(ج) البكري (ص ١٧١) ، أبو ن .

(١١) البكري ، ص ١٧١

(١٢) نفس المصدر .

(١٣) البكري ، ص ١٧٠ ، الإدرسي ، ص ٣ . عن مدينة وليل تارت ياقوت ،
سهم البلدان ، ج ٤ ص ٩٤١ ، مراد الأصلاح (أوليل) ، ج ١ ص ١٠٠ ، السلفي ،
ص ٢١٠ ، أبو القاسم ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٣

(١٤) البكري ، ص ١٩٥ ، أما الإدرسي فيسكن (ص ٥٥) عن جزر المحيط وعن العبر
ولكنه لا يذكر هذه الجزيرة .

وعند الجزر يوصل إليها بالقدم ، ويوجد فيها العنبر الكثير ، وأكثر معاش أهلها
من غنم السلاحيات فهي أكثر شيء في ذلك الموضع وهي مفرطة العظم ، وربما
دخل الرجل في حمار ظهورها بتصيده في البحر كالغراب . وفي هذه الجزيرة
أغنام كثيرة ومواشي ، وهي منى المراكب وآخر مراسى المغرب . ومن مدينة
تول إلى هذه الجزيرة على البحر ، لا تفارق السواحل ، مسيرة شهرين في أرض
صحيرة أكثرها صفاة تنمو فيها الخاول ، ويكل فيها الحديد ^(١) ، وإنما يشرب
من يمر على ذلك الطريق من حفر حفرونها عند جزر (ب) البحر فينبع ماء عذبا
وهو من العجائب . وإذا مات الثمارين بهذه الطريق ميت لا يمكنهم موازاة بالتراب
لصلاية الأرض واستناعتها من الحفر ، فيستروته بالمطام والحشيش أو يبقونوه
في البحر .

وبين صحراء لحونة وبلاد السودان (ج) ، مدينة أوقة ^(٢) تحست .
وهي مدينة عظيمة أهلة فيها لم لا تحصى وبساتين كثيرة وتخل كثير ، ويزرعون
فيها القمح بالحفر بالقووس ويسقونه بالدلاء ^(د) ، وكذلك يسقون بساتينهم ،
وإنما يأكل عندهم القمح الملوكة وأهل البساتين منهم ، وسائر أهلها يأكلون
اللوز . والنفائ تجود عندهم كثيرا ، والبقر والغنم عندهم أكثر شيء وأرضهم :
تفترى في أوقة ^(٣) أكباش بنينار وأكثر من ذلك ، وهم أرباب نم
جزيلة وأموال جليلة ولم أسواق حائلة عامرة الدهركلة ، لا يكاد يسمع الإنسان
فيها صوت جليسه لكثرة غلوائها ، وتجارتهم إنما هي بالتهربليس عندهم
نقعة . ومدينة أودغست ميان حسنة ومنازل وقيمة وأهلها أغلاط من جميع
الأمصار ، وقد استوطنوها لكثرة غيرها ، ونفاق أسواقها وتجارتها . وحرم
أودغست لا يوجد مثله في بلد ، يجلب منها جوارحسان يفس الألوان مائسات
القدود ، لطاف ضخام الأرداف وأسعات الاكتاف ضيقات القروج ،
المشتع باحداهن كأنما يستمتع بيكر أبدا ، من غير أن ينكسر لإحداهن لدى
طول عمرها .

(١) ب : وتكيل الحديد . (ب) ب : جوار .

(ج) بلاد السودان ، نالقة في ص ٥٥ . (د) النص : بالذولاب . انظر

البكري ، ص ١٥٨

(١١) البكري ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، الإدرسي (ص ٢٢) يكتن بذكر اسم المدينة ١
ياقوت ، سهم البلدان ، ج ١ ص ١٣٩ مراد الأصلاح (أودغست) ، ج ١ ص ١١٠
السلفي ، ص ٢٣٨ ، ابن حوقل (أودغست) ، ص ٩٩

ذكر بلاد السودان ومنها المشهورة

ومهاها وبها من سير ملوكها^(١)

قال المؤلف رحمه الله: أقرب بلاد الإسلام إلى بلاد السودان بلاد جدالة^(٢) وأقرب مدينة من مدن السودان إليهم مدينة صَنْفَاتَة^(٣) وهي مدينة عظيمة على النيل. وبين آخر بلاد جدالة وبين مدينة صَنْفَاتَة مسيرة ٦ أيام، ومها مدينتان على ضفة نيل مصر وغابن اللذين نظر واسع وعمارات متصلة يقال إنه تتصل عمارتهما وقراها بالبحر المحيط. وثلى مدينة صَنْفَاتَة على النيل مدينة تَنْكُرُور^(٤) وكانوا على ما كان عليه سائر السودان في الخصوصية وعادة الكاكير، وهي بلاتهم الأصنام، حتى ولهم وزجاء بن ياسين فجهزم على الإسلام بالسيف وحارب السودان حتى أسلموا وذلك سنة ١٣٥٠-١٠٤٣-١٠٤٤.

مدينة سيل^(٥): هي مدينتان على ضفة النيل وأهلها مسلمون أسلموا على يد وزجاء، رحمه الله، وملكوها واسع المملكة كثير العدد يقاوم صاحب غانة. وبينها وبين غانة مسيرة ٢٠ يوما في عمارة متصلة للسودان القليلة بعد القليلة، وصاحب سيل يحارب من جاووه من كبار السودان، ويتابع أهل سيل لما هو بالثورة والثلح وحلق النحاس وأزر لطفان من قطن يسمنها الشبكات^(٦) وهي أنفق ما عندهم، وليس عندهم غنم ولا ماعز وأكثر نبات أرضهم الأبنوس ومنه يحطون. وبغرب مدينة سيل مدينة كَلْبِيُوا^(٧) وهي مدينة كبيرة

(١) ب: الشبكات، م: الشبكات، ولكننا أضفنا ما كتبه البكري، ص ١٧٢.

(٢) القصور الخامسة ببلاد السودان منقولة عن البكري، ص ١٧٢ وتابع.

(٣) البكري، ص ١٧٢. وقارن الإدريسي، ص ٥٩. المسلك، ص ١٢٢٨. أبو القاسم الرحلة، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٦. O. Boussier، تاريخ السودان، القسم، ص ٢٥، الترجمة، ص ٤٢.

(٤) البكري، ص ١٧٢. المسلك، ص ٢٤٠.

(٥) قارن الإدريسي، ص ٣. أبو القاسم الرحلة، ج ٢، ص ٢٢٠. مرصده الأصلاح، ج ١، ص ٢٠٩.

(٦) البكري، ص ١٧٢. قارن الإدريسي، ص ٢.

(٧) البكري، ص ١٧٢.

أخبرني ثقة من التجار^(١) أنه رأى مدينة أودغست امرأة راقدة على جنبها، وكذلك يفعل في أكثر أسواق إفريقية من الجلولس على أردافهم، ورأى ابنا لها طفلا يلعب حوالها وهو يدخل تحت خصرها ويخرج من البقعة الأخرى من غير أن تتجاف له، وذلك لعظم ردفها ورقة خصرها. ويحلب منها سودانيات طباعات محسنت، تباع الواحدة منهن بـ ١٠٠ دينار كبير وأزيد، بحسن عمل الأطعمة ولا سيما أصناف الحلوات مثل الجوزينقات، والورزينجات، والقاهريات، والكناكيات والقطائف والشبوات، وأصناف الحلوات، فلا يوجد أحلى يصنعها منهن. ومنها يحلب الدوق الحسيفة الجباد فإن الدمع بأرض أودغست كثير جدا. يحلب أيضا منها العنبر الطيب لتربها من البحر المحيط، ويحلب منها القعب الإبريز الخالص بحبوطة مفتولة. وذعب أودغست أجود ذهب الأرض وأصعب، وكان صاحب مدينة أودغست في سنة ٣٥٠-٣٦٠ (٩٦١-٩٧١) (ب) رجلا من صنهاجة، وكانت له جيوش كثيرة فدان له أزيد من ٢٠ ملكا من ملوك السودان كلهم يؤتون له الجزية. وكان عمله مسيرة شهرين في مثنها في عمارة متصلة، وكان يبتدئ في أزيد من ١٠٠.٠٠٠ نجيب فإن التحيل في تلك البلاد قليلة، فيقال إنه غزا ملكا من ملوك السودان يقال له أرغام، فدخل بلده وأحرقها وقتل جنته وذلك في قصره ينظر إليه، فلما رأى ما حل في بلده هان عليه الموت وخرج ورمى بذرته إلى الأرض وقاتل حتى قتل. فلما هان نسأوه ذلك تدين في الأبار وقيلهم أنفسهم يضرب من القتل أسفا على ملوكهم وأتفه أن يملكهم البيضاء. وبين مدينة أودغست وجماعة نحو ٥٠ مرحلة، ومنها إلى غانة نحو ٢٠.

(١) ب: أخبرني الثقات. (ج) المس: في طبر وعين وخبابة. ولكننا أضفنا بقاء البكري، ص ١٠٩، والرجة، ص ٢٥١.

(٢) البكري، ص ١٠٩.

على شفة النيل ، فإن النيل يشق جميع تلك البلاد ، ويسقي أكثرها . ومن محال تلك البلاد أن فيها حيواناً يشبه النيل في عظيم خلقته وخرطوته وأنيابه ، يسمونه جنو ويرمي في البر ويأوى إلى النيل ، ويصنّفونه فيأكلون لحمه ويصنّفون من جلده الأسواط التي تسمى بالسريقات ، ويقال لها بالأكندس ذئب القار . ومن هناك تحصل الأسواط إلى جميع الأقاليم ، ولم في صيده حيلة لأنهم يميزون في النيل المواضع التي يأوى إليها هذا الحيوان [حيث] يتحرك الماء على ظهره فثقله استقروا ، وعندما مزارق حديد قصار في أسافلها خلق قد شددت فيها حبال مديدة ، فزرقوه بالعدد الكثير منها ، فهرب منهم وينوص في أسفل النيل فربحوا له تلك الحبال فيضرب حتى يموت . فإذا مات حلقا على الماء فيجروته إلى البر ، ويأخذونه . وكل مدينة قلنوا مدينة ترنكة (١) (١) : وهي مدينة كبيرة هل نظر واسع وبها تصنع الأزر المسماة بالشكايات التي تنفق في مدينة قلنوا وغيرها ، وهي من القطن وليس بهذه المدينة قطن كثير وإنما هو مجلوب إليها ، وهم يتركون بشجرة قطن ما عندما منزل ولا دار إلا وفيه شجرة قطن . وحكم أهل هذه البلاد في السارق أن خير صاحب السرقة في بيع السارق أو قتله ، وحكمهم في الزاني أن يسلب من جلده .

ومن مدينة ترنكة تنصل ببلاد السودان إلى بلاد زافون (ب) (٢) وهم من البربر لم مدينة زافون ، سميت بهم . وهم يعبدون ثعباناً عظيماً له حرف وذئب ورأسه كزأس البعوض ، وهو في مغارة في أصل جبل ، وعلى فم المغارة حريش وحوله مواضع يتبدون فيها تلك الثعبان ، ويعلمون نفيس الثياب والشاح على تلك المغارة ، ويضعون لذلك الثعبان جفان الطعام وعساس اللبن والشراب ، فهم إذا رأوا خروجه إلى ذلك الحريش تكلّموا كلاماً معلوماً عندما ، وصغروا تصغيراً كذلك فيبرز إليهم . فإذا هلك وال من ولاتهم جموا أولاده ، إن كان له ولد ومن يصلح للسلطنة بعده ، وفرّوه من ذلك الثعبان وتكلموا بكلام يعلمونه ، فبدنوا ذلك الثعبان منهم فلا يزال يشمهم رجلاً رجلاً

حتى ينلع أحدهم بأفده ، ثم يولى ذلك الثعبان واجماً إلى مغارته ، فيلبسه ذلك الرجل والثعبان مسرعاً إلى المغارة والرجل يجهد خلقه بالجري بأشد ما يقدر عليه ، فيجذب من ذنبه أو حرفه شعرات فتمد ويعلمون أنه يملك قومه تلك الشعرات سنين ، لا يحسبهم ذلك بزعمهم . وأقول إن هذه القصة لهم إنما هي لأن الثعبان يحترق حتى يزيد على ١٠٠٠ سنة ، فلشأ حل ذلك بألهم فلا يعرفون أوله ، والموضع هذه القصة إنما أراد أن يملكهم بذلك ، وعقوبهم في نهاية الرككة ، فيصبح له منهم ما أراد - عصمتاً أنه من الثمن . وكل هذه البلاد الفرويين (٣) ، ومن غراب بلدهم أن عندما بركة عظيمة يجتمع فيها الماء ، يثب فيها نيات أصله أيلع شيء في تقوية الجماع والموتة عليه ، ومثل ذلك البلد يشق على إخراجهم من بلده فلا يصل منه إلى غيره شيء ، وله من النساء عدد كثير ، فإذا أراد أن يطوف عشرين ألفاً من قبل ذلك يوم ، ثم استعمل ذلك النواء ، فلا يكاد ينكسر عن الطواف عشرين ألفاً . وقد أهدى له بعض الملوك الحماورين لبلده هذه هدية تقيسة ، واستبداه شيئاً من ذلك العود ، فواضحه على هديته وكتب إليه أن المسلمين لا يحل لهم من النساء إلا القليل ، وقد خفت عليك أن أبعث بهذا النواء فلا تقدر على إمسائك نفسك فتأكل ما لا يحل لك في شربك ، ولكنني بعثت لك عوداً يأكله العقيم فيولد له . وبلاد الفرويين يبدل الملح بالذهب لعدم عندما ، وفي هذه البلاد معادن الذهب ، تراها أحر يستخرج كما يستخرج الحديد والرصاص والنحاس والفضة ببلادنا .

ذكر بلاد غانة وما جاورها من البلاد (٤)

قل إن غانة سميت لشوكها ، وإنما اسم البلد أوكتار (٥) ، ووقع في كتاب ملكها إلى يوسف بن تاشفين ، نصه : إلى أمير أمهات ، قال غانة ،

(١) ب : م : وكان . أنطاكيا : ص ١٧٨

(٢) البكري : ص ١٧٨
(٣) البكري : ص ١٧٨ وقام . لارن الإدريسي : ص ٦ - ٧ : ياقوت : ص ١٢٤
البلدان : ج ٣ ص ٧٧٠ : مرآة الاطلاع : ج ٢ ص ٣٠٠ : المسلك : ص ١٢٤
أبو القاسم : ترجمة : ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢
(٤) البكري : ص ١٧٨ : المسلك : ص ٢٤٠

(١) البكري (ص ١٧٣) : ترنكة . (ب) البكري (ص ١٧٣) : زافون .

(٢) أنطاكيا : ص ١٧٣

(٣) البكري : ص ١٧٣ : لارن اسم البلدان : ج ٢ ص ٩٠٨ : مرآة الاطلاع : ج ١ ص ٥٠٢

وهذا دليل على ما قيل . ومدينة غانة مدينتان ، إحداهما يسكنها الملك والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة ، بينهما القصور والمساكن نحو ٩ أميال متصلة . وفي مدينة الرعية جامع كبير ومساجد كثيرة ، وفيها الأئمة الموزنون والقضاة والعلماء ، وحواشيها آثار عذبة منها يشربون ، وعليها الخضف والمقاني . ومدينة الملك تسمى الغابة ، ولعلها بها قصر عظيم وقباب ، قد أحاط بذلك كله حائط مثل السور ، وعلى مقربة مجلس حكم الملك ، وحول قصره غياض وغيابات وشجره يسكنها السحرة وأهل ديانتهم ، وفيها دكاكينهم وقبور ملوكهم ، ولها حرس فلا يمكن أحد من الترفيه دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهناك سجون الملك فإذا ضمن أحداً التقطع خبره . وفي مدينة الملك مسجد يصل فيه من يغد عليه من تجار المسلمين . والملك يجلس للناس للحكم في قبة عظيمة وأمام القبة عشرة أفراس من حنك الخيل ، وعليها الخيل المذبة من الحرير والديباج على عنقها بيلادهم . والملك يتحلل بحل النساء (١) في عنقه وفراجه ، ويصل على رأسه طرطورا مذهبا ويعمم عليه حمامة فضية ، وعن يمينه وعن يساره أبناء الملوك والوزراء وعاصمته من أمهات بلده ، قد ضفروا رؤوسهم بالذهب والجلود وعليهم الثياب الرقيقة . ولا يلبس ثوبا عظيما من أهل دينه إلا هو وولي عهده ، ومن سواهما يلبسون ملاحف الحرير والديباج ، وسائر أهل بلده يلبسون ملاحف القطن . والملك وسائر أهل بلده الذين على ديانتهم يحلقون لحاهم وتساوهم يحلقن رؤوسهم . ولا يرى الملك عهده إلا لابن أخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع بصحة اتصاله به ، وإذا جلس الملك في قبة الملوك الناس ينثرون جلوسه ببطيل عظيم يسمونه "دوبا" (ب)، وهو خشبة طويلة منقورة قد جلدوها لما صوت هائل يجتمع الناس إليه ، فإذا دنا منه أهل دينه جثوا على ركبهم وحشا التراب على رؤوسهم . وأما المسلمون فتجنيهم عليه تصفيق باليدين ، وجلس الوزراء أمامه إما هو على الأرض تواضعا للملك . وإذا مات الملك حملوا له قبة ووضعوا له الأطعمة والأشربة وكل من كان عنده طعامه وشربه ، وألقوا عليهم باب القبة وجعلوا فرقا الحصى والأصمعة ، واجتمع الناس فرعدوا فرقا القبة بالتراب حتى يأتى الموضع مثل الجبل الضخم ، ثم يحضرون حوله خيبرا

(١) القارة في رواية كمال : والملك يتحلل على النساء .

(ب) ب : دوبا : م : دوبا : البكري : ١٧٦

عليها وعرا حتى لا ينزل إلى ذلك الكرم ولا إلى شيء منه إلا من موضع واحد . وللك غانة ملكة واسعة نحو الشبرين في طولها ، وفي بلده يوجد الذهب الكثير ، وهو يجمع جميع بلاد الدنيا وأفضل الذهب يملكه ما كان يملك غياروا .

مدينة غياروا (١) : بينها وبين غانة نحو ٢٠ يوما متصلة بقياتل من السودان لا يحصى لهم عدد ، وإذا وجد في جميع معادن بلاد هذا الملك الشفرة من الذهب استغناها (١) الملك لنفسه ولم يتركها تخرج من بلده لغيره . والشفرة تكون من أروقة إلى رطل وإنما يتركها أن يخرج من بلادهم من الذهب ما كان رقيقا ، ولو تركوا كل ما يوجد في المعادن خرج من بلادهم لكثرة الذهب بأبدى الناس ولغان . ويذكر أن عند ملك غانة ثلثة ذهب كالخمر الضخم ، وقد ذكر أن عند بعض ملوك السودان من هذه الثمرات حجر عظيم يجعل أمامه ، فإذا ورد عليه رسل من غيره من الملوك أمر بفرسه فربطه إليه ليأبى بذلك . وبين مدينة غياروا والنيل ١٢ ميلا وفيها كثير من المسلمين ، وفي القرب منها حل النبل مدينة "برهستي" (ب) (٢) : وهي مدينة كثيرة الخيرات ولها معدن للذهب عظيم معروف في بلاد السودان . ومن أعجب شيء في هذه المدينة أن فيها مزارق فصارى وعندهم شجر معلوم فتحته هذه المزارق تلك الأشجار فتنتفع من غير ذكر ، ويذكر أن ذكران الغز ويستحيون الإناث لاستغنائهم عن الفحل ، وهذا معلوم عندهم غير منظور ، حدث بذلك من دخل بلادهم من التجار والفتات ، وهذا مثل جزيرة النساء التي ذكر السعدي (٣) . ومن أعمال مدينة غانة ونظرها مدينة ساسمة (٤) ، ويعرف أهلها بالبيكم ، بينها وبين غانة مئة أربعة أيام . وهم يحشون عراة إلا أن المرأة تستر فرجها بسيور مضفورة ، ولساقهم يوفرون شعر العانة ويحلقن شعر الرأس . حدث رجل ثقة عن دخل

(١) ب : م : استغناها . (ب) م : برهستي . (ج) م : سلة .

(١) البكري : ١٧٢ ، قارن الإبراهيمي (غيار) ، ص ٩ ، البكري : ص ٢٤٠

(٢) البكري (أروقة) ، ص ١٨٧ ، قارن الإبراهيمي (برهستي) ، ص ٤٤ ، أبو القاسم : القربة ج ٢ ، ص ٢٢٠ ، البكري (برهستي) ، ص ٢٤٠

(٣) نيل قصة جزيرة النساء في كتاب ابن وصيف غار : Carre de Vaux, Abrégé des Merveilles ، القربة ٤ ، ص ١٧٩

(٤) البكري : ص ١٧٨ ، قارن الإبراهيمي (ساسمة) ، ص ٢٤

تلك المدينة إنه رأى منهن امرأة ولقت على رجل من العرب له حبة عظيمة طوية ، فتكلمت كلاماً لم يفهمه العربي ، فسأل الرجلان عن مقالها فغيره إنها تحت أن يكون شعر غيبتها في عاتقها ، فغضب الأعرابي وألوسها بها . وهورث الرجل أكبر بنية ماله كله ويعزم القبر ولو كان أحب إليه . ولم حلق بالرياسة ويرمون بالسهام المسمومة . وبطرف غانة مدينة الشبابة^(١) : وهي مدينة كبيرة ولأهلها بأس شديد في الحروب ، وهم معانئون لك غانة وإليها تسمة إليهم .

مدينة كوغلة^(٢) : وأهلها مسلمون وحواليها المشركون ، وأكثر ما يتجهز إليها بالمالح والردع والنفاحس المسبوكة والفاكوت وهو أفق شيء عديم للديع به . وحواليها معادن النبر ، وهي أكثر بلاد السودان ذهباً . ويقارب منها مدينة الوكن^(٣) : وهي مدينة عظيمة يقال إن ملكها المعاصر لنا مسلم حتى إسلامه . وبلاد غانة قوم يسمون بالفتشيين ، من ذرية الجيش^(٤) الذي كان بنوا أمية أنفلوه إلى غانة في صدر (ب) الإسلام إلى بلاد السودان ، وهم يبيع الألوان حسان الوجوه لا يتناكحون في السودان كثيراً . وإذا سرت من غانة إلى جهة الشرق فذلك لسير في بلاد السودان كثيراً (ب) وفي قبائل من البربر وحالة وهم مسلمون . وشبر مراحل كثيرة على التبل إلى مدينة تيرق^(٥) : وهي مدينة عظيمة لها أسواق حافلة بجمع فيها أم كثيرة من بلاد متفرقة من بلاد غانة وتادمكة وغيرها . وتعلم السلاح بأرض تيرق حتى تخرج من القبايس ، وهي تحفر في الأرض أسراباً يمشي فيها إنسان ، وهم يأكلونها فلا يستطيعون إخراج واحد منها من تلك الأسراب إلا بعد شد الحبال فيها واجتماع

(١) قصير : يسمون بالقاس من ذرية الحسين . أنظر البكري ، ص ١٧٩

(ب) أجل الواقعة بين ١٠٧٤ و ١٠٧٥ م ، انظر تالعة في ب .

(ج) قصير : يتركي . أنظر البكري ، ص ١٨٠

(١١) البكري ، ص ١٧٩ ، القرن الإفريقي (تيرق) ، ص ٣٥

(١٢) البكري ، ص ١٨٩ ، القرن الإفريقي ، ص ١٦٠ ، التشتي (مجان كوك) ، ص ٢٤١

(١٣) البكري ، ص ١٧٩

(١٤) البكري ، ص ١٨٠ ، القرن الإفريقي ، ص ٨

العدد الكبير ، حدث رجل لفة من المسافرين في ذلك الطريق أن قوماً ارتلوا في بعض طريق تيرق فغرسوا متاعهم ، وبذلك الطريق الأرض كثيرة وهي تسد ما وجدت من متاع أو غيره ، ولها بذلك الطريق أجحاراً ونحو من التراب أكراما فوق أجحارها ، ومن العجب أن ذلك التراب يرى ندى والماء هناك غير موجود على أبعاد حفره ، فلا يبيع التجار أمعتهم إلا على الحجارة الصبوة أو الخشب . فلما زل أولئك التجار بذلك الموضع ارتاد كل واحد منهم لثامه تحركاً من الأرض أو حجراً ، فبدر أحدهم بالليل إلى صخرة كبيرة فيها عظم فأزل عليها متاعه وكان ورق يعبرن ، ثم قام يقرب رحله فلما انقضى من ثوبه تحركاً لم يجد الصخرة ولما كان غلباً ، فارتاح فنادى بالويل والحرب فاجتمع إليه أهل القافلة يسألونه عن خطبه ، فأخبرهم . فلما انوار طرقت لص اللعب بالمتاع وبقيت الصخرة ، فغلطوا أثر سلخانة ذاهبة بالموضع فاتفقوا أثرها ومشوا أميالاً حتى أدركوا السلخانة وحمل المتاع على ظهرها وهي تنهض به في غير تكلف . فاجب من عظم هذه السلخانة التي تحمل ورق جلين .

ومدينة تيرق على التبل ومن هناك يرجع نحو الجنوب . وبلى مدينة تيرق إلى ناحية المغرب مدينة تادمكة^(١) : وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي أشبه البلاد بمكة كرمها الله ، ومعنى تاد عديم هيئة : على هيئة مكة . وأهلها بربر مسلمون وهم يتقنون كما يتقلب بربر الصحراء ، وعينهم من الفن والتم وليس عندهم قبح ولا شعير ، وعندهم حب تنبه الأرض من غير حرث يشبه اللوة . ولباسهم الثياب القطن المصبغة ، وملبهم بلبس الثياب اللوة فتكون عمامة حراء وقميصه أصفر وسراويله زرق وما أشبه ذلك . ودنانيرهم تسمى الصلح لأنها من ذهب عصف غير مخومة ، وسراويلهم فائقات الجمال لا يبدل بين نسائه بله حسناً . والفرنا عندهم مباح وهم يتلقون التجار إذا أقبلوا إلى بلادهم ويتقارعن على الرجل الجميل منهم أين تحمله إلى منزلها . وبين مدينة تادمكة وغانة نحو ال ٥٠ مرحلة ، وبينهما مدن وحماير لسودان والبربر . فذاشرت من غانة تريد أن تقول ما تلقى مدينة تسجنجوا^(٢) : وهي على

(١) البكري (ص) ١٨١ : مستقراً .

(١١) أنظر أيضاً سبق حاشي ١ ص ١٨٦

(١٢) البكري ، ص ١٨٦

قال الناظر: هنا انتهى ما وجدته من هذا الموضوع، ولقد أحسن واضعه، ورتب ماسحق، وهذا لعمري أقرب وأخصر من غيره، فليه ما في غيره، وليس في غيره ما فيه. وحفظت وطرأت كتاب الواضع بما قيدت في هذه الواضع، وأنا مؤمن أن أتفرغ لوضع كتاب كامل يحتوي على ذكر بلاد الغرب وممالكها (١) إلى هذه الأيام السعيدة الإسلامية، وأضيف إليها ما رفعته للحضرة العلية من مقاصر هذا الأمر العالي - أيد الله دوائمه سنة ٨٠ [٥] [١١٨٨] وهو ما يزيد عندي من فتوحاته المستأصلة لشأنة الأعداء، إلى حيث يبلغ في الزمان، فهو على وسعي، ونصبي من الجهاد ورأي، إذ هو من أعمال القلوب، كالحاجة لما خط من القنوب، والله تعالى يجعله عملاً مقبولاً لديه، فالأعباد، والتكلمان عليه، لا رب سواه.

صلى الله على نبيه محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وأحمد لله رب العالمين.

فهرس محتويات الكتاب

الصفحة	المحتوى
٢٢	مقدمة
٢٣	حجة الكتاب
٢٤	ذكر حلود حرم مكة
٢٥	وصف مكة وأربابها وأحمد إيفان
٢٦	الحظوظ
٢٧	جد أرباب مكة
٢٨	ذبح الكعبة
٢٩	مكة البيت من داخله وخارجه
٣٠	الصلوات
٣١	مكة طبع الكتب ومعه
٣٢	مكة باب الكعبة وطريقه ومعه
٣٣	مكة الحشر الأمرد والركامه في
٣٤	الركن وقبلة
٣٥	مكة الحشر ومعه
٣٦	مكة القام
٣٧	مكة طرم ودرعها وفارح قتها وما
٣٨	مكة من الله
٣٩	مكة قبة الشراب
٤٠	مكة بيت اليهودية
٤١	مكة المسجد الحرام وقبلة
٤٢	مكة أبواب المسجد الحرام
٤٣	مكة سراري المسجد الحرام وذكر
٤٤	مكة القبة التي في اتجاه البازية
٤٥	الحجرات
٤٦	مكة قناديل المسجد الحرام
٤٧	مكة الصفا والقررة
٤٨	مكة الحصى
٤٩	مكة من والحجرة وديها
٥٠	مكة مسجد الجنب
٥١	مكة مسجد الحرام
٥٢	مكة مسجد الحرام
٥٣	مكة مسجد الحرام
٥٤	مكة مسجد الحرام
٥٥	مكة مسجد الحرام
٥٦	مكة مسجد الحرام
٥٧	مكة مسجد الحرام
٥٨	مكة مسجد الحرام
٥٩	مكة مسجد الحرام
٦٠	مكة مسجد الحرام
٦١	مكة مسجد الحرام
٦٢	مكة مسجد الحرام
٦٣	مكة مسجد الحرام
٦٤	مكة مسجد الحرام
٦٥	مكة مسجد الحرام
٦٦	مكة مسجد الحرام
٦٧	مكة مسجد الحرام
٦٨	مكة مسجد الحرام
٦٩	مكة مسجد الحرام
٧٠	مكة مسجد الحرام
٧١	مكة مسجد الحرام
٧٢	مكة مسجد الحرام
٧٣	مكة مسجد الحرام
٧٤	مكة مسجد الحرام
٧٥	مكة مسجد الحرام
٧٦	مكة مسجد الحرام
٧٧	مكة مسجد الحرام
٧٨	مكة مسجد الحرام
٧٩	مكة مسجد الحرام
٨٠	مكة مسجد الحرام
٨١	مكة مسجد الحرام
٨٢	مكة مسجد الحرام
٨٣	مكة مسجد الحرام
٨٤	مكة مسجد الحرام
٨٥	مكة مسجد الحرام
٨٦	مكة مسجد الحرام
٨٧	مكة مسجد الحرام
٨٨	مكة مسجد الحرام
٨٩	مكة مسجد الحرام
٩٠	مكة مسجد الحرام
٩١	مكة مسجد الحرام
٩٢	مكة مسجد الحرام
٩٣	مكة مسجد الحرام
٩٤	مكة مسجد الحرام
٩٥	مكة مسجد الحرام
٩٦	مكة مسجد الحرام
٩٧	مكة مسجد الحرام
٩٨	مكة مسجد الحرام
٩٩	مكة مسجد الحرام
١٠٠	مكة مسجد الحرام

(١) هنا ينتهي انقضاء